النشاط الاقتصادى لليونانيين فى دمياط وتأثير الأحداث السياسيه على تواجدهم بدمياط

اعداد

د . عبد الرحمن البكري أبو الحمايل

مدرس التاريخ الحديث والمعاصر

كليه الآداب – جامعة دمياط

تقديم:

من أهم أنشطة الجالية اليونانية في دمياط نشاطهم الإقتصادي خاصة ان اليونانيين عرفوا بين المصريين بالحركة والنشاط والقدرة على العمل التجاري وتحقيق الكسب والفائدة.

وسكن اليونانيون في قلب المدينة والأحياء العامرة بالحركة والنشاط، وفي الأسواق ومراكز البيع وتبادل السلع والمنتجات، حتى اننا نجد اليونانيين في قرى وريف دمياط فقد عملوا وتاجروا في الحاصلات الزراعية زراعة وبيعاً، وفتحوا عملات تجارية مشهورة لبيع الخمور والبن والأقمشة المشهورة بأنواعها المتعددة وكذلك تجارة البقالة جملة وقطاعي وكانت لهم في هذه التجارة السيطرة و الظهور وتحقيق المكاسب وكانت لهم شهرة واسعة تحدث عنها المعتمد البريطاني اللورد كرومر عن نجاح الجالية اليونانيةفي التجارة وكسب الرزق، وساعدهم على ذلك في دمياط اندماجهم مع المجتمع واكتسبوا الكثير من عاداته وتعرفوا على أذواقهم وميولهم ومن ثم كان نجاحهم في دمياط نجاحا ملحوظا وسريعا.

استأجر اليونانيون ميناء دمياط وكانت لهم فيه الغلبة والسيادة وأقاموا لأنفسهم المساكن الفاخرة اللائقة بهم كطبقة أغلبهم من أثرياء دمياط وبقيتهم كانوا في بحبوحة من العيش وسعة الرزق.

هجر اليونانيون دمياط بعد قوانين التأميم والقرارات الإقتصادية بعد عام ١٩٥٢م وتركوا عند أهل دمياط أثرا لا ينسى طوال تاريخهم.

النشاط الاقتصادى لليونانيين وتاثره بالأحداث السياسيه لدمياط:

اتجه نشاط معظم اليونانيين الاقتصادى بوجه عام فى دمياط الى اعمال التجاره ، وشجعهم على ذلك اهميه دمياط التجاريه ،وحجم النشاط التجارى داخل

ميناؤها ، فكان ذلك سببا لثراء كثير من العائلات اليونانيه بدمياط ، بينما اكتف العائلات الفقيره بالعمل فى امور اخرى، كالبقاله والمخابز ، والحياكه ، وغيرها من الاعمال وعلى وجه العموم انخرط اليونانيون فى نسيج الشعب الدمياطى ، فباتوا جزءا من هذا النسيج وقد تحتفظ السينما المصريه لنا بمشاهد يظهر فيها البقال اليونانى وصاحب البار، كتفصيله من تفاصيل الحياه الاقتصاديه لليونانيون.[١]

وليس هناك تعبير اصدق من جمله اللورد كرومر المعتمد البريطانى فى مصر حينما قال عن اليونانيين ونشاطهم الاقتصادى داخل مصر" اينما ذهبت فى اى مكان فى مصر ورفعت حجرا تجد يونانيا يبيع لك شيئا "[٢]

ولذلك امتازت طائفه اليونانيون وهم طائفه كبيره فى دمياط ،ببعض المهن كفتح القهاوى ، والبارات ومحلات البقاله ، والخمارات ، كما امتازوا بالنشاط وجمع المال ، ولذلك جمع بعضهم ثروات هائله وكان لهم من النشاط المتشعب ما مكنهم من الانبثاث حتى فى القرى النائيه وبين الفلاحين ، وهم شديدو المعرفه بعادات الناس من فلاحين وغير فلاحين وتقاليدهم ، ولذلك تكون مداخلهم اعمق واساليبهم ادق ومما يؤهلهم لذلك انهم سرعان ما يتخلقون بأخلاق اهل البلد ،ويتعودون عادتهم ويتكلمون بلغتهم . [٣]

ولقد ساعدت الامتيازات الاجنبيه نشاط اليونانيين داخل مصر بوجه عام ولعبت دورا فى تحديد الوضع الاجتماعى والاقتصادى لهم داخل انحاء القطر المصرى ، باعتبارهم اكثر الجاليات الاجنبيه فى مصر، ويمكن تقسيم الجاليه اليونانيه بدمياط الى طبقه ثريه وطبقه متوسطه ،اشتغلت الطبقه الغنيه بأعباء التجاره خاصه فى ميناء دمياط ، والقسم الاكبر من اليونانيين كانوا من الطبقه المتوسطه وكانت هى الاوسع انتشارا فى دمياط فكانوا موجودين كبقالين وسماسره فى كل مكان تقريبا فى دمياط حتى القرى والنجوع ، هذا بالاضافه الى الحرفيين والصناعيين وعاملين فى قطاع الخدمات وكانت هناك طبقه بروليتاريا حقيقيه اسست اول حركه عماليه فى مصر . [٤]

واليونانيون بوجه عام كان لهم انشطه مختلفه داخل دمياط ، وكان اول هذه الانشطه النشاط الاقتصادى، فكانوا روادا فى المجال الزراعى خاصه فى ارياف دمياط بادخالهم اصناف والات جديده ساعدت على النهضه الزراعيه فى مصر بصفه عامه ، وفى الصناعه كانوا روادا فى صناعه القطن والسجائر والكحول والاطعمه الغذائيه والمشروبات وغيرها ، اما عن النشاط التجارى أنشأوا العديد من البيوت التجاريه والبنوك ،واتضح سيطرتهم التامه على تجاره البقاله وأول من أنشأوا الغرف التجاريه والمهنيه فى مصر . (٥)

تأجير اليونانيين لجمرك دمياط:

عمل القسم الاكبر من اليونانيين بدمياط فى التجاره ، ولذلك ارتبطوا بميناء دمياط ، وبالتالى كان لهم حضور قوى داخل الميناء وشملت تجارتهم على البضائع التى كانت تصدر وتستورد من والى دمياط الى الداخل والخارج ، ويعد ميناء دمياط من اهم الموانى فى القرن ١٨وكان تأجيره يدر دخلا كبيرا على صاحبه ، وكان جمرك دمياط مؤجراً بأربعمائه كيس من النقود ودخله خمسمائه او ستمائه كيس ، فى حين ان جمرك الاسكندريه يؤجر بمائتين وثمانين كيس من النقود ودخله نحو ٤٠٠ كيس من النقود ، وهذا دليل على ان ميناء دمياط كان الميناء الاول من حيث حجم النشاط التجارى فى اوائل القرن ، ١٨وكان المماليك الانكشاريه يؤجرونه من الوالى العثمانى بعد ما يقدمون له الهدايا الثمينه، ثم فى اوائل القرن ١٨كان الميناء فى ايدى المسيحيين وخاصه من طائفه الروم الارثوذكس من اليونانيين والشوام المقيمين داخل مدينه دمياط . (٦)

وازداد نشاط اليونانيين فى ميناء دمياط فى فتره محمد على باشا فكان اليونانيون والشوام والارمن يؤجرون الجمرك بدمياط ويسددون مقابل ذلك مبلغ ١٢٥٠٠٠٠٠ فرنك سنويا ، ولقد استقر بدمياط عدد كبير من الشوام التابعين للكنيسه

اليونانيه ومذهبها ،وقد اجروا جمرك دمياط ومنهم حنا فخر الدمياطى السورى الاصل وباسيلى فخر المولود فى دمياط عام ١٧٧٠ م، وكان هذا الاخير قنصلا لست دول اوربيه وقدم خدمات جليله لليونانيين وللروم الارثوذكس بدمياط . (٧)

وقد استفاد اليونانيون من الحريق الذى اصاب المزارع الامريكيه من القطن ، والتى كانت تورد القطن الى اوربا مما جعل الاوربيين يساعدون مصر فى زراعته واستغل التاجر اليونانى ذلك وتاجر فى القطن ، واصبحت بورصه القطن المصريه هى المحدده للاسعار فى العالم كله وبالتالى ازداد حجم نشاط تجاره القطن عبر الموانى المصريه خاصه ميناء دمياط (٨) .

ونتيجه لزياده النشاط الاقتصادى والتجارى داخل ميناء دمياط كان لليونانيين العديد من الوكائل والمخازن فى شارع الخمس، المقابل للميناء ومخازن تحتوى فيها العديد من الغلال والحبوب والصابون والشمع ، والكثير من الاشياء الوارده او المصدره من والى دمياط ، فكان من اليونانيين من هم تجار للجمله فى بضائع عديده.(٩)

مساهمه اليونانيين فى الصناعه بدمياط :

كان لليونانيين فى دمياط حضور فى الصناعات المختلفه منها صناعه النسيج ومن بين الصناعات النسجيه التى قام اليونانيون باشتغالها القرقب وهو نوع من القماش وكان يصنع قديما ببلاد اليونان ثم نقلت صناعته الى مصر، واختصت هذه الصناعه بدمياط وتنيس ببحيره المنزله ، ويشتهر هذا النوع من القماش بألوانه اللا معه التى تتميز دائما ولا سيما اذا انعكست عليها اشعه الشمس .(١٠)

ومن بين الصناعات النسجيه التى اشتغل بها اليونانيين بدمياط صناعه القلمون او الاقمشه الحاشيه القلمونيه ، وسماها بعض المؤرخين بوقلمون وكتبها

اخرون قليمون وهى لفظه يونانيه الاصل اذ كان اول ظهور هذا النسيج ببلاد اليونان ثم انتقلت صناعته الى تنيس ودمياط وغيرها وتمتاز بألوانه البراقه المتلألئه . (١١)

ولقد إزداد نشاط وحجم انتاج صناعه النسيج فى دمياط بعد ان هيأ محمد على المدينه لصناعه الحرير ، حيث قام محمد على باشا بغرس أشجار التوت لتربيه دوده القز وقد بلغ عدد الاشجار المغروسه فى دمياط حوالى ٣٠٠ شجره فى كل فدان.(١٢)

وننتقل الى صناعه اخرى لا تقل اهميه عن سابقتها من حيث التطور والانتاج وهى صناعه الجبن ، فمن اهم الصناعات التى نقلت الى دمياط على يد اليونانيين صناعه الجبن بأنواعها وهى صناعه يتفنن بها الشعب الدمياطى الى اليوم ، وكذلك صناعه الزيتون وتمليحه حيث اشتهرت دمياط بمعاصر الزيوت فى اوائل القرن ١٨ وقد تحدث عن وصفها علماء الحمله الفرنسيه .(١٣)

كما برع اليونانيون فى صناعه التبغ خاصه على عهد محمد على باشا ،اذ كانوا يستوردون التبغ المزروع من قبل يونانيين على سواحل البحر الاسود فى تركيا، وكان ميناء دمياط اهم الموانى المستورده للتبغ ثم يصنعونه، وشهدت هذه الصناعه انتعاشا بسبب استهلاك الجيش الانجليزى للتبغ المصرى فى الحرب العالميه الاولى.(١٤)

وتعد صناعه النبيذ والمشروبات الروحيه من اهم الصناعات التى ادخلها اليونانيين مصر بصفه عامه وتاجروا بها فى عموم البلاد ، فلا يخلو مكان يتواجد فيه اليونانيين الا ويوجد الخماره والبار اليونانى .

كما كان لليونانيين حضور فى بعض الصناعات الاخرى بدمياط كحرفيين وصناعيين وعاملين فى قطاع الخدمات ، وبعض الصناعات الخفيفه وورش الميكانيكا والحلويات وغيرها(١٥)

انتشار العائلات اليونانيه بدمياط واهم تجارتهم:

دمياط كان يعيش بها العديد من الأوروبيين منذ عدة قرون سابقة حتى قبل افتتاح قناة السويس في بداية القرن ١٩ أثناء تولى محمد على السلطة لأجل هذا أصبحت مدينة دمياط أكثر رواجاً تجارياً عن المدن الأخرى ، ولقد برزت من الناحية التجارية نظرا لقربها من البحر المتوسط ،وخاصة من اليونانيين والشوام ،و الجزر اليونانية وسوريا فكانت تجذب كثير من التجار.(١٦)

ومن المعروف ان اكبر جاليه بدمياط هى الجاليه اليونانيه فكان عددهم موزعين على نواحى دمياط مدن وقرى، فكان يوجد ٥٠ يونانيا بفارسكور حيث تركز عدد كبير من التجار اليونانيين فى فارسكور، خاصه مع بدايه القرن التاسع عشر ، ومنهم الخواجه اليونانى التاجر ينى كوينه بن اندريه بن لوقا والمقيم بفارسكور.

وكان وكيلا عن الخواجه اسراتى ديمترى بترنوه اليونانى التاجر والمقيم بالمنصوره ، فكان يشترى له الاطيان الواسعه بفارسكور ونواحيها فاشترى له بالرحامنه اطيان تقدر بمبلغ ٢٦٧١٢ قرش.(١٧) كذلك اشترى له اطيان بالابراشيه بمبلغ ١٦٥٠٠ قرش .(١٨)

وكان يقرض الفلاحين مقابل رهن فإقترض منه يوسف الخواجه من الرحامنه مبلغ ٤٩٠٠ قرش على سبيل الدين الشرعى ، واقترض منه ايضا فوده حواس ، واخيه السيد ٥٠٠٠ جنيه ورهنوا خمسه افدنه خراجيه بالرحامنه ، وعاده كان يصعب على المدين رد دينه فكان الجزاء ان تصبح الارض تنتقل ملكيتها للدائن . (١٩).

وكان الخواجه ابادير ديمترى اليونانى من اشهر تجار فارسكور، وكان يقوم باقراض الناس ويأخذ الرهون مقابل ذلك . (٢٠)

وكان منهم الخواجه ديمترى ميخائيل اليونانى ، الذى كان يتاجر فى البن ، ومن اشهر تجار فارسكور وكان له مدق بن فى محلات اجرها من املاك الاوقاف بفارسكور .[٢١]

وهذا بالاضافه الى ان اليونانيين اول من صنعوا النبيذ وصنعوا السجائر فكان منهم الخواجه جورجى كورسبه اليونانى ، الذى كان يتاجر فى الخمور فكانت له خماره ببندر فارسكور يبيع فيها الخمور، وكان يتهرب من دفع عوايد الخمور الوارده اليه ،ولذلك كان ديوان الجهاديه يحرر الخطابات الى وكيل قنصلاتو اليونان مطالبا له بعوائد الخمور المتاخره على الخواجه جورجى .[٢٢]

وكان منهم الخواجه جورجى طناش اليونانى وولده اشيروا ، اللذان كانا يعملان فى تجاره المينى فاتوره "البقاله "وكذلك مترى ينى اليونانى الذى كان يعمل ايضاً بتجاره المينى فاتوره البقاله ، وكان له محل بسوق فارسكور بحاره الوسط .[٢٣]

وكان منهم الخواجات خسا رزوق اليونانى الارثوذكسى الذى كان بحاره الوسط بفارسكور، والخواجه كرم اليونانى ، وهناك قريه بناحيه فارسكور تسمى قريه كرم ورزوق على اسم الخواخه خسا رزوق والخواجه كرم اليونيان الاصل .[٢٤]

وكان منهم كلا من قسطندى باركلى دولوا اليونانى الذى كان يقطن بحاره الفاخور ونقولا بن جورجى بابا دوبلوا اليونانى الارثوذكسى بحاره الوسط وقسطندى مرستو دولوا اليونانى بحاره الفاخور . [٢٥]

واشتهرت من العائلات اليونانيه بفارسكور عائله دسلياديس ، وعائله بابا طناشى ، وعائله دودانيسى ، الذين عملوا بالتجاره والقروض . [٢٦]

وكان القنصل اليونانى بدمياط هو الراعى لليونانيين فكانت المشكلات بينهم وبين التجار او الفلاحين يتدخل لحلها ، مأمور اشغال قنصلاتوا دوله اليونان ، واذا تأخر احدهم بدفع ما عليه من حقوق يتم الاتصال بالقنصليه . [٢٧]

بلـغ عـدد اليونـانيين بمدينـه دميـاط حـسب تعـداد عـام ١٨٩٧م الـذى قدر ب١٥٦ يونـانى وكـانوا يحتلـون المرتبـه الاولـى فـى عـدد الاجانـب فـى دميـاط ومنهم ١٥٢ ارثوذكسى و ٤ كاثوليك(٢٨)

ولقـد سـكنوا منـاطق محـدوده مـن المدينـه اشـهرها حـاره النـصارى التـى كـان يتجمـع فيهـا اكثـر مـن ٩٠% مـن مـسيحى المدينـه غـيط النـصارى الـذى كـان يـشمل الاراضـى الزراعيـه للمـسيحين ووكالـه الـصابون التـى كانـت تـضم مقابر اليهود وسكناهم(٢٩)

وقد سكن فـى وكالـه الـصابون ارملـه يونانيـه ، ترتـزق مـن تحنـيط الطيـور المتوفره ببحيره المنزلـه، وكـان يقـع الـى الخلـف من منزلها قاعـه خاليـه خربـه ، وفـى صيف سنه ١٩١٥م ، شب حريق فـى تلك القاعـه لان محنطـه الطيور كانت تحرق بعض الهشيم بجوار الحائط ، وانهار جدار القاعه وكشف الحريق عن منظر عجيب ، فقد كانت تلك الجدر المكسوه بالملاط الابيض تحجب وراءها رفوفا من الخشب، صفت عليها مكتبه من المجلدات الضخمه المطبوعه والمكتوبه بالحروف العبريه لغه بنـى اسرائيل ، ورفوفـا اخـرى جمعـت اشـياء مختلفـه كـالبخور والـشموع والاحجبـه ، وتخاطف الناس محتويات القاعه ، ويبدو ان ذلك كان معبدا يهوديا وانهم عمدوا اخفاء محتويات المعبد وراء تلك الجدران بسبب هجره سريعه لليهود اقتضتها احدى الظروف السياسيه . (٣٠)

كـان هنـاك مقهـى فـى دميـاط يعـود اسـمها الـى صـاحبها اليونـانى الخواجـه انستاسى وفوقها فندق يؤجر غرفا للمسافرين والاجانب ، وكان الغرض من المقهى ليكون ملتقى اليونانيين وتجار القطن، والمحاصيل الذين يفدون الى دمياط باعتبارها مركز لتجاره المحاصيل خاصه الارز الدمياطى والنسيج ، وكان يجلس بالمقهى العديد من السماسره اليونانيين لتخليص صفقات تجاريه.(٣١)

ومن ضمن الخواجات اليونانيين فى مدينه دمياط وكان من مؤسسى مجلس الكنيسه اليونانيه وهو من اعضاء الجاليه اليونانيه الذين لم يغادور دمياط حتى اليوم ،الخواجه كرم ينى مخالى وهو صاحب محل كرم ينى للساعات اليابانى الشهير بالشارع الجديد بدمياط فى اول التجارى ، وقد ورث عنه المحل اولاده عماد مهندس زراعى ، وعاطف ليسانس حقوق ، وامل دكتوره صيدليه صاحبه صيدليه بدمياط الجديده .(٣٢)

وتعد صناعه النبيذ والمشروبات الروحيه من اشهر الصناعات اليونانيه ، ومنهم الخواجه باولو اليونانى الذى عاش بالمنصوره وكان له محل خمور فى المنصوره ، ومحل اخر فى راس البر بدمياط ومعه ابنه جرياكو وباع الخواجه باولو المحل الى والد بندلمون بشرى كاهن الكنيسه اليونانيه بدمياط الحالى ، وما زال المحل يحمل اسم الخواجه باولو فى راس البر بالسوق الكبير (٣٣)

ممتلكات اليونانيين بدمياط:

امتلك بطريرك الروم الأرثوذكس بدمياط منزلاً وذلك في بداية القرن السابع عشر وهو البطريرك كيرلس لو كاريس، وقد قام البطريرك غيراسيموس سبارتاليوتيس (١٦٢١ – ١٦٣٦) باتخاذ الإجراءات اللازمة للاعتراف بقانونية ممتلكات الكنيسة بدمياط ، فكانت كنيسة القديس نيقولاوس تمتلك منزلاً جديداً وعدة أراضي ،وهناك مخطوط قديم يثبت أن أرض كنيسة دمياط قانونية لا يجوز بيعها أوا هدئها أو استبدالها باي شئ أخر سواء كان جزء منها أو كلها للأبد إلى أن يشاء الله حيث يرث الأرض لأنه الوريث الصالح الوحيد لكل شئ.(٣٤)

واذا رحل كل الروم الأرثوزكس من الحياة ولم يبق منهم أحد تقدم هذه الأرض للمسيحين الفقراء ، الذين يعيشون في دير الراهبات المعروف باسم قصر السماء بمصر القديمة دير مارجرجس وتوزع الأرض على المسيحيين الروم الأرثوذكس بالقاهرة، وإذا غير أي واحد أو زور من هذه المستندات القانونية سيكون عقابه من الله " . (٣٥)

قدم البطريرك يوانيكوس معلومات كثيرة عن ممتلكات دمياط قال" اشترينا في دمياط منزل قريب من كنيسة اليونانيين مارجرجس من ابن منصور بمبلغ ٥٤ أزلانيا عملة تلك الأيام".(٣٦)

كما قال " اشترينا منزلا أخر لابناء الكاهن حنا وتم تجديدة بالكامل ليصبح محلا وحجرة اجتماعات تم تخصيص حجرتين للبطريرك وأربعة غرف للكهنة، ومطبخين وغرفة تخزين.(٣٧)

وفي فرمان سلطاني دون فيه كان لليونانيين بدمياط العديد من الأراضي وحدائق العنب، والمطاحن، المغازل، المحلات، أموال، حيوانات، وأشجار مثمرة وغير المثمرة وأشياء أخرى مختلفة تحت يد البطريرك فهو الممثل والمالك لكل منها.(٣٨)

وقامت الطائفه ببناء المنازل من ذلك انه قد تم بناء منزل قد اشتراه غبطة البطريرك يوانيكوس وقمنا بعمل محل وفي الدور الثاني بيتاً بلغت المصاريف ١٠٠٨ غريسيا وتم تأجير المحل للعجوز باسيليس ، تم شراء محلات المعلم يوحنا والمعلم عبدالله و فخر الخياط و نيقولاوس المعلم بن جاتي.(٣٩)

ومن اشهر منازل اليونانيين منزل لليوناني أتاليوتو عام ١٦٦٠م كما تم بناء قطع أراضي على مساحة كبيرة بلغت نفقات البناء ١٢٥٥ وتم تأجير

المحل إلى السيد ميغليس القادم من الجزيرة اليونانية كريت كان ايجار المنزلين والمحل السفلي ٣٥ أزلانيا.[٤٠]

وقام اليونانيون بإزاله البيوت المصنوعه من الغاب وأقاموا بدلاً منها بيوتا مبنيه بالطوب الأحمر ومن ذلك بيوت اليونانيين فى سوق السمك وتكلف بناء منزل واحد مبلغ ٢٩٣٢ غروسيا وتم ايجار هذا المنزل إلى السيد قنسطنديوس تيذاكسيس مقابل مبلغ ١٢٠ أزلابيا للعام الواحد و كان العقد موقع من البطريرك بائيسيوس.[٤١]

الأحداث السياسه بدمياط واثرها على تراجع النشاط الاقتصادى لليونانيين:

موقف اليونانين من الحمله الفرنسيه على دمياط:

كانت مدينه دمياط أحد عروش بطريركيه الروم الارثوذكس ، واتصل تاريخها مباشره بتاريخ بطريركيه الروم الأرثوذكس فى الاسكندريه وبطاركتها ، وكان عدد الروم الأرثوذكس المتحدثين باللغه اليونانيه والعربيه فى دمياط حوالى ٢٥٠ اسره يونانيه أثناء قدوم الحمله الفرنسيه ، إنخفض هذا العدد بصوره تدريجيه وفى التاريخ المعاصر غير اليونانيون فى دمياط الكثير من خصائصهم واهمها اللغه اليونانيه الذين تحولوا منها الى اللغه العربيه ليندمجوا فى المجتمع ويعيشون حياتهم وايضا اكتسبوا الجنسيه المصريه فى فترات تاريخيه سابقه بالرغم من اصولها اليونانيه الظاهره على ملامحهم وبعض من عاداتهم ومازالت فى دمياط بعض الأسر القليله يتحدثون فقط اللغه العربيه بالرغم من أصولهم اليونانيه .[٤٢]

اما عن موقف اليونانيين فى دمياط من الحمله الفرنسيه فنذكرها كما يلى ، أثناء ثوره دمياط على الفرنسيين ، لعب اليونانيون دوراً كبيراً فى إخماد تلك الثوره ووقفوا بجانب الفرنسيين خوفاً علي تجارتهم وأموالهم ، الأمر الذي جعلهم يطلقون الاعيرة النارية من منازلهم علي المقتحمين من الثوار ، ويذكر نيكولاس بابادوبولو Nicolas* وهو احد اليونانيين في دمياط شهادته فيقول "منذ حدوث تمرد حسن طوبار في دمياط اضطررت بان اعد الاسلحة والقوات ضد الاتراك ، واذهب سريعا لمساعدة الفرنسيين علي راس مائة يوناني وهؤلاء اليونانيون كانوا تحت لوائي ، وبعد مرور الوقت علي هذا الهجوم ، اصبحت انا ورجالي مجندين في خدمة الفرنسين في دمياط حتي خروج الحملة من مصر".[٤٣]

وكافأ بونابرت نيكولاس، على التعاون مع الفرنسيين في دمياط، فأصدر أمراً له بالحماية واللجوء، حيث كتب رسالة إلى فيال يقول له فيها: "إن المراكز العسكرية

للجيش الفرنسي في مصر تعتبر نيكولاس الذي كان يدافع عن الفرنسيين في دمياط، أثناء مهاجمة حسن طوبار ورجاله على المدينة بالصديق الوفي، فلا ننسى له أنه كان يخدم في الأسطول التابع لمراد بك سبع سنوات، وعندما تعرضت الحملة الفرنسية للهجوم ترك أسطول مراد بك وذهب بجنوده ليدافع عن الفرنسيين، إنني قد منحت له ١٠٠٠ تيلرز * كمكافأة له لوقوفه بجوار الجيش الفرنسي"(٤٤).

ولأهمية دور اليونانيين في دمياط ذكر جوزيف ماري مواريه Joseph Marie Moiret في مذكراته: "إن اليونانيين المقيمين في دمياط كانوا خيرعون لنا، اذ ظلوا ينبهوننا بلا كلل إلى مناورات العرب والبدو المتحدين مع حسن طوبار، وخطط أنصارهم في المدينة وقدموا لنا خدمة جليلة، حيث إستمعوا إلى هذه الصيحة التي أطلقت باللغة العربية عند إقتحام الثوار المدينة من أعلى المساجد " أيها الشعب إستيقظ فسوف نذبح الفرنسيين"، فقاموا فوراً بإبلاغ فيال ولم يكن لنا أبداً أن نفهم هذه الصيحة الموجهه باللغة العربية بما تنطوي عليه من نتائج مشئومة، لولا تحذير اليونانيين المحمود وقد أحسن فيال صنعاً بعدم إهمال هذا النبأ، وإستعد لحسن طوبار ومن معه من الثوار(٤٥).

خلاصة القول لعب اليونانيون في دمياط دوراً محورياً في هذه المعركة في مساعدة فيال علي تفهم ما يدور حوله والا لتكبد الفرنسيون خسائر كبيرة وان معرفة اليونانيون اللغة العربية جعلتهم بمثابة عملاء، او جواسيس للفرنسين ينقلون لهم اخبار الثوار في مدينة دمياط اولا باول ويعد ذلك موقف غير مشرف من اليونانيين.

<u>الثوره العرابيه واثرها على ترحيل اليونانيين فى دمياط:</u>

تعرضت سفينه الشحن التابعه لشركه نقولا لاماركيوس اليونانى للاتلاف والاستيلاء على حمولتها بعد وصولها الى ميناء دمياط فى ١١ يوليو سنه ١٨٨٢ وحاول الاهالى قتل من عليها لولا هروبهم بسفينه نمساويه (٤٦)

وقد صورت الوثائق النسماويه ما حدث بانه ثوره عسكريه ضد الاجانب خاصه اليونانيين وان الموقف اصبح فى غايه الخطوره وروح العداء ضد الاجانب كانت مسيطره على المصريين ولم يكن ذلك خاصا بمدينه دون اخرى فحدث فى دمياط ان راح اهلها يهددون الاجانب ومنها الجاليه اليونانيه .(٤٧)

كما ان فى اثناء ثوره عرابى قتل احد اليونانيين فى دمياط وقيل ان سبب القتل هو ان احد مديونيه الفلاحين قتله وان الباعث على ذلك تمنعه من اعطاء الفلاحين سنداته وقد ضبط فى طنطا اثناء توجهه من دمياط الى عرابى فى كفر الدوار .(٤٨)

ولما وقعت حوادث الاسكندريه وانتهت بضربها بمدافع الاسطول الانجليزى اشار الانجليز على الدول الاوربيه بترحيل رعاياها من القطر المصرى وكان بدمياط عدد كبير من الاسر القديمه المتمتعه بحمايه بعض الدول تبعا لتقاليد ذلك العهد فارسلت الحكومه اليونانيه بناء على توجهات قنصلها فى دمياط عددا من المراكب الشراعيه الكبيره الى دمياط لنقل من يشاء الرحيل من رعاياها فهاجر عليها بضع مئات من اليونانيون الى قبرص وجزر اخرى حيث اقامو هناك حتى نهايه الثوره ورفضت بعض الاسر الهجره من دمياط وظلت تزاول عملها فى هدوء ولما عاد المهاجرون الى بيوتهم بدمياط وجدوا كل ما تركوه من امتعه وممتلكات سلميا لم يمس وكان عبد العال حلمى مع كبار الدمياطيين ساهرا على رعايه مصالح المدينه وامنها ويقص المعمرون ان بعض اعيان دمياط المسلمين كانوا يمرون ببيوت المهاجرين المقفله للاطمئنان على سلامتها وظلت تلك الاسر التى عادت من المهجر تحتفظ طويلا بذكريات رحلتها وطرائفها كما كانت تؤرخ بالثوره فتقول مثلا : " هذا الشخص ولد قبل او بعد هوجه عرابى " (٤٩)

كانت ثوره ١٩١٩ م فصلا اخر من فصول الرفض الدمياطى للاحتلال اذ خرجت مظاهرات دمياطيه شارك فيها اليونانيين تندد بنفى زعيم مصر سعد زغلول وسقط العديد من الشهداء فى شوارع دمياط برصاص المحتل الانجليزى (٥٠).

تقلص عدد اليونانيين فى مصر فعبد الناصر الذى وعد ان يقدم لليونانيين قواعد مختلفه فى التعامل مع الاجانب خصوصا ان عددا من اليونانيين وقف جنبا الى جنب مع المصريين فى مواجهه العدوان الثلاثى لعام ١٩٥٦ م إلا ان ظروف مصر وعبد الناصراختلفت كثيرا بعد عدوان ١٩٥٦م وبات الكثير من اليونانيين فى موقف شائك ولم يجد امام اغلبهم سوى المغادره وترك مصر . (٥١)

ويعتبر السبب الوحيد لخروج اليونانيين اقتصاديا الا وهو تراجع مصادر رزقهم ومن ثم انقطاعها وخرج اليونانيون بالتدريج وعلى مدار ثلاثين عام بدا ذلك من عام ١٩٢٧ م ،وانتهى مع قوانين التاميم والاصلاح الزراعى فى نهايه الخمسينات ،وكانت الهجره فى بدايه الامر داخليه من دمياط الى الاسكندريه ثم من الاسكندريه الى اليونان وافريقيا واستراليا ، ولا شك ان تلك البلاد التى هاجروا منها ومن بينها دمياط تأثرت اقتصاديا من جراء ذلك التهجير فقد كانت الجاليه اليونانيه فى مصر ودمياط من الجاليات الكبيره والنشطه اقتصاديا واجتماعيا وكانت لهم معاملاتهم التى لا تنسى مع دمياط وشعبها النشط الذكى الودود . (٥٢)

خاتمه البحث:

اليونـانيون مـن أشـهر الجنـسيات فـي مـصر وأكثـرهم عـدداً وتميـزاً وانتـشاراً، ولـم يتركـوا مكـان فـي مـصر إلا وتواجـد فيـه افـراد مـن الجاليـة اليونانية.

كانـت مدينـة دميـاط وضـواحيها مـن أهـم مـدن القطـر المـصري التـي عـاش فيهـا اليونـانيون، ومـن أشـهر مـا عـرف عـنهم نـشاطهم الإقتـصادي والمالي.

فقـد كانـت لهـم محـلات ووكـالاتهم التجاريـة لبيـع البقالـة، والخمـور والأقمشة، وكافة محلات وأنواع التجارة.

كمـا اسـتأجروا ميناء دميـاط وشـاركوا فـي كافـة أنـشطته فـي الكثيـر مـن الـسنوات، وفـي مجـال الحـرف والـصناعات اشـتهروا بـصناعة الأقمـشة الراقيـة خاصـة فـي تنـيس وقلـب دميـاط وكانـت أقمـشتهم غاليـة الـثمن ورائجـه، أيـضاً كانـت لهـم مـصانع الـدخان وتعتيـق الخمـور وتمليـح الأسـماك ولهـم نـشاطهم فـي صـيد البحـر وفـي بحيـرة المنزلـة خاصـة ان اليونـانيين مـن اشـهر مـن اسـتفاد مـن ركوب البحر وتجارته وكافة انشطته.

ان اثـر اليونـانيين فـي دميـاط لاينـسى عنـد كبـار أهـل دميـاط الـذين كـانوا علـى تعامـل معهـم طـوال تـاريخهم مـدة هجـرتهم التدريجيـة مـن دميـاط بعـد الثـورة والقرارات الإقتصادية المتعاقبة.

هوامش البحث

1) جريده الحياه : الجاليه اليونانيه فى ام الدنيا ، ٢٧ مارس ٢٠١٧ م

2) نبيل عبد الحميد سيد احمد : النشاط الاقتصادى للاجانب فى مصر ، مكتبه نانسى ، ٢٠٠٤ ، ص٢٦ .

3) احمد تيمور: اليونانيون حكايه اكبر جاليه اجنبيه احبت مصر وشعبها ، تقرير مجله المصور نشر بتاريخ ٢٠ يناير ١٩٩٥.

4) نجاه عبد الخالق : دور اليهود واليونانيين فى الاقتصاد المصرى من عامى ١٩٨٥ – ١٩٦٠ ، رساله دكتوراه غير منشوره ، مكتبه الاسكندريه ، ص١٢٦ .

5) عائشه عبد الحى عبد الرحمن : اليونانيون فى مصر من ١٨٨٢– ١٩٥٢ ، رساله دكتوراه غير منشوره ، عين شمس ،٢٠٠٣ ، ص٣٣.

6) نيقولا يوسف : نيقولا يوسف:تاريخ دمياط عبر العصور ، الاتحاد القومى بدمياط ، ١٩٥٩ ، ص٢٣٠.

7) بندلايمون لامبازاريوس : بندلايمون لامباذاريوس : كنيسه القديسين مارجرجس ونيقولاوس ببطريركيه الروم الارثوذكس بدمياط بورسعيد ،٢٠٠٨ م ، ص٩٠

8) سيد عشماوى :اليونانيون فى مصر دراسه تاريخيه فى الدور الاقتصادى – السياسى ١٨٠٥ – ١٩٥٦ ، كليه الاداب القاهره ، ط١ ، ١٩٩٧ ، ص ٦٥ .

9) كريستوفر هوريلد: بونابرت فى مصر ، ترجمه فؤاد اندراوس ، مكتبه الاسره ، ١٩٩٨ ، ص١٢٢ .

10) نيقولا يوسف : المرجع السابق ، ص ٣٣٣.

11) المرجع نفسه : ص ٣٣٤ .

12) اخبار دمياط : مقال بتاريخ ١٩٤٦/٤/٢٨ .

13) مقابله شخصيه مع بندليمون بشرى راعى كنيسه اليونانيين بدمياط قام بها الباحث احمد السيد الزفتاوى باحث دكتوراه بكليه الاداب جامعه دمياط بتاريخ ٢٠١٦/١١/١ .

14) نجاه عبد الخالق : المرجع السابق ، ص ١٠٢ .

15) عائشه عبد الحى عبد الرحمن : المرجع السابق ، ص ٢٠١ .

16) بندلايمون لامبازاريوس : المرجع السابق ، ص ص ٤٥-٤٦ .

17) دار الوثائق القوميه :محكمه فارسكور الشرعيه : سجل ١١٧٠ ، مضبطه ٧سنه ١٨٨٣م.

18) نفس المصدر : محكمه فارسكور الشرعيه ، سجل ١١٧٠ ، مضبطه ٢٥ سنه ١٨٨٣ م .

19) دار الوثائق القوميه : سجلات محكمه فارسكور الشرعيه ، سجل ١١٦٩ ، مضبطه ٥٠ -٦١ ، سنه ١٨٨٢ .

20) المصدر نفسه : سجلات محكمه فارسكور الشرعيه ، سجل ١١٧٠ ، مضبطه ٧ ، سنه ١٨٨٣م .

21) المصدر نفسه : مديريه الدقهليه ، سجل ، ٩١٥ ، وثيقه ٨١٤ ، سنه ١٨٧٣ م .

22) المصدر نفسه : ديوان الجهاديه ، سجل ٧٣٠ ، عين ٢٨ ، مخزن ١٠ ، وثيقه ٧٢١١١ ،سنه ١٨٧٨ م .

23) المصدر نفسه : دفتر صحه فارسكور ، سجل ٧٠٢٨ ، عين ٢٦٠ ، مخزن ١٠ ، سنه ١٨٨١ .

24) المصدر نفسه : دفتر صحه فارسكور ، سجل ٧٠٢٨ ، عين ٢٦٠ ، مخزن ١٠ ، سنه ١٩٠١م .

25) المصدر نفسه : دفتر صحه فارسكور ، سجل ٧٠٣١ ، عين ٢٦٠ ، مخزن ١٠ ، سنه ١٨٩٧ م .

26) ابراهيم العدل المرسى : رساله دكتوراه الجاليات الاجنبيه فى الدقهليه ، ص ص ٦٤-٦٥ .

27) دار الوثائق القوميه : مديريه الدقهليه ، سجل ٩٦٤ ، مضبطه ١٣٨٤ ، سنه ١٨٧٤ م .

28) تعداد سكان القطر المصرى سنه ١٨٩٧ : مصدر سابق ، ص ص ١٢٢ -١٢٣.

29) راضى جوده : دمياط فى التاريخ الحديث ، ١٨١٠ -١٩٠٦ الهيئه العامه المصريه للكتاب ، ٢٩٧.

30) نيقولا يوسف : المرجع السابق ، ص ص ٢٩٤- ٢٩٥ م .

31) المرجع نفسه : ص ٢٧٩ .

32) راجع المقابله السابقه بتاريخ ١/١١/ ٢٠١٦ .

33) نفس المقابله .

34) وثائق البطريركيه : وثيقه بخصوص املاك اليونانيين بدمياط ، مؤرخه بتاريخ ١٧٥٥ م .

35) المصدر نفسه : وثيقه بخصوص املاك اليونانيين بدمياط ، مؤرخه بتاريخ ١٧٧٢ م .

36) المصدر نفسه : مستندات خاصه باملاك اليونانيين بدمياط .

37) المصدر نفسه : مستندات خاصه بأملاك اليونانيين بدمياط .

38) فرمان عثمانى : بخصوص املاك الكنيسه اليونانيه بدمياط واثبات ملكيتها ، مؤرخه بتاريخ ١٥٨٠ م.

39) وثائق البطريركيه : بخصوص ممتلكات اليونانيين بدمياط .

40) المصدر نفسه : وثيقه بخصوص املاك اليونانيين بسوق السمك بدمياط .

41) وثائق البطريركيه : وثيقه بخصوص املاك اليونانيين بسوق السمك بدمياط .

42) بندلايمون لامبازاريوس : المرجع السابق ، ص٦ .

(43) carent de la sapretache,op.cit. p655

*نيكولاس بابادوبولو: هو مواطن يوناني عاش في دمياط منذ سبع سنوات قبل مجئ الحملة الفرنسية، وظل في خدمة المماليك كقائد لأسطول مراد بيك في النيل ، وعندما جاءت الحملة الفرنسية وقف بجانبهم مما أدى ذلك إلى إشتعال الغضب تجاه عائلته المتواجدة في دمياط، فبعد خروج الحملة الفرنسية عام ١٨٠١م تم إستياق عائلته إلى السجن لثلاث سنوات وانتزعت منه الدولة العثمانية كل أملاكه ورجعت إلى الأتراك ثم رحل إلى مرسيليا بعد الإفراج عنه. Ibidp.p655 – 656

*الواحد تيلرز: هى عمله يونانيه، ويعادل ٢٥٠٠ فرنك فرنسي. للمزيد انظر

Correspondance De Napoléon: op.cit.p136.

(44) Ibid.p136.

(45) جوزيف ماري مواريه: مذكرات ضابط في الحملة الفرنسية على مصر، ترجمة كاميليا صبحي، المجلس الأعلى للثقافة ٢٠٠٠، ص٧٣.

(4) Adrien Pascal: Les Bulletins De La Grande Armée, Tome 2, paris, 1841, p161.

46) صلاح احمد هريدى : الجاليات اليونانيه فى مصر من الاحتلال البريطانى الى الحرب العلميه الاولى ١٨٨٢– ١٩١٤ ،دن ، الاسكندريه ، ٢٠٠٠ ، ص ص ٢٣ ،٢٤

47) محافظ الثوره العرابيه محفظه ٢٠ دوسيه ١٧٨ .

48) لطيفه محمد سالم : القوى الاجتماعيه فى الثوره العرابيه ، دار الشروق ، ص ١٥٢

49) عبد الرحمن الرافعى : الثوره العرابيه والاحتلال الانجليزى ، ط٢ ، مكتبه النهضه المصريه ، ١٩٤٩ ، ص٤٤٧

50) جريده الجسر : الاتنين ٢٧ مارس ٢٠١٧ م .

51) جريده الحياه : الجاليه اليونانيه فى ام الدنيا ٢٧ مارس ٢٠١٧.

52) نجاه عبد الخالق :المرجع السابق ص ١٩٨ .